جامعة تكريت

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

محاضرات دراسات قرآنية معاصرة

المرحلة الرابعة/ الكورس الأول

العام الدراسي ٢٤-٢٥

إعداد

أ.د. فرمان إسماعيل إبراهيم

المحاضرة الأولى:

التعريف بالمصطلحات:

أولا: مفهوم الدراسات القرآنية:

من المفيد أن نعرج على مفهوم الدراسة مطلقا، ثم نخصصه بوصف القرآنية.

١- مفهوم الدراسة

أ- الدراسة لغة: قال ابن فارس"الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خَفَاءٍ وَخَفْضٍ وَعَفَاءٍ. فَالدَّرْسُ: الطَّرِيقُ الْخَفِيُّ. يُقَالُ دَرَسَ الْمَنْزِلُ: عَفَا"

قال الراغب" دَرَسَ الدّار معناه: بقي أثرها، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءه في نفسه، فلذلك فسّر الدُّرُوس بالانمحاء، وكذا دَرَسَ الكتابُ، ودَرَسْتُ العلم:"تناولت أثره بالحفظ، ولمّا كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبّر عن إدامة القراءة بالدّرس، قال تعالى:(وَدَرَسُوا ما فِيهِ) [الأعراف/ ١٦٩] وقال:(بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) [آل عمران/ ٧٩] (وَما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها) [سبأ/ ٤٤]

ب- الدراسة اصطلاحا: هي عملية أو نشاط يؤديه الفرد، إذ يقوم الفرد في هذا النشاط بتكريس جزء من وقته للقراءة والكتابة، والحفظ الفهم، والبحث والاطلاع في أحد العلوم أو المواد العلمية، بحيث يقصد بهذه الدراسة الإلمام والإحاطة بهذا العلم أو بجزئياتٍ منه.

٢- مفهوم الدراسة القرآنية:

عرفها الدكتور يوسف المرعشلي: الدراسات القرآنية تآليف فكرية تستند في أبحاثها إلى القرآن الكريم، فتأخذ جانبا من جوانب الحياة الفردية السلوكية أو الاجتماعية أو الاقتصادية او العلمية وتعرض نظرة القرآن له في مجمل سوره وآياته.

وعرفها الدكتور الشاهد البوشيخي: الدراسات القرآنية هي كل الدراسات التي جعلت موضوعا لها القرآن الكريم وعلومه وما يتصل بذلك. فكل تلك الدراسات هي من الدراسات القرآنية.

٣- مفهوم القراءات المعاصرة

ومن المصطلحات التي انتشرت وكُتب فيها كثيرا مصطلح (القراءات المعاصرة) وسأعرف بها فيما يأتي:

أ- القراءات في اللغة: القراءات في اللغة جمع قراءة، وهي مصدر بمعنى الضم والجمع، والمراد بها التلاوة لأن القارئ يجمع الحروف والكلمات.

ب-القراءات اصطلاحا: لابد أن نبين أن مصطلح القراءات في هذا البحث يعد مصطلحاً حادثاً ليس له ارتباط بالمعنى اللغوي، ويرى بعض الباحثين أن مصطلح القراءة في الكتابات المعاصرة يطرح كبديل عن مصطلحات التفسير والتأويل والتدبر ونحو ذلك.

ومن أنسب تلك التعريفات في المراد بالقراءات المعاصرة أنها "استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم" وليس محل الإشكال استخدام طرق صحيحة في التفسير أو الفهم القرآني، ولكن الإشكال هو في استخدام طرق في التفسير أو الفهم القرآني غير صحيحة أو لم تثبت صحتها، والتوسع في جلب المناهج الغربية وتنزيلها كيفما اتفق على النص القرآني، بغض النظر عن ربانية مصدره وصحة طريقة الاستدلال به.

وهذه النظريات المستخدمة في تأويل القرآن الكريم ليست حقائق علمية وإنما نظريات لم تثبت بعد، أو قد ثبت بطلانها.

وذلك أن أصحاب هذه القراءات يريدون تطبيق مختلف أنواع المنهجيات التحليلية الغربية الحديثة لكي يتحرر (المجال لولادة فكر تأويلي جديد للظاهرة الدينية)، إذاً فهي قراءات وليست قراءة واحدة.

ج- المعاصرة: تفيد أن هذه القراءات عصرية حداثية يجمعها القطيعة مع المناهج القديمة للاستدلال بالنصوص الشرعية عند الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان. وفي هذا القيد "المعاصرة" يتضح الفرق في المراد بهذا البحث بين القراءات القرآنية التي يراد بها طريقة التلفظ بقراءة القرآن، وبين طريقة تأويل معاني القرآن بناء على النظريات الغربية الحديثة مع قطع الصلة بطرق الاستدلال عند السلف الصالح، فالمراد بالبحث هو الثاني لأنه هو الذي يوصف بالمعاصرة دون الأول.

وفي قيد "المعاصرة" أيضاً تخرج القراءات التي نشأت قديماً وظهر فيها

الانحراف مبكراً ، والتي تتمثل في إلغاء العمل ببعض النصوص الشرعية من

أجل بعض المقاصد الموهومة ونحو ذلك، حيث ظهر الانحراف في هذه القراءة

في عصر السلف. وقد جرى بعض الباحثين على استخدام ألفاظ مشابهة للفظ (القراءة المعاصرة)، مثل: (القراءة الجديدة)، أو (القراءة الحداثية)، أو (القراءة العصرانية)، أو (القراءة العلمانية)

بناء على ما سبق فيمكن إيضاح المراد الإجمالي للقراءات المعاصرة للقرآن الكريم بأنها:

تعدد الاستدلالات بالقرآن الكريم بناء على بعض النظريات الحديثة التي لم تثبت أو ثبت بطلانها، والإعراض عن طريقة الصحابة والتابعين في الاستدلال.

المحاضرة الثانية

الحداثة

أولا :مفهوم الحداثة:

- لا يخلو إيجاد تعريف جامع مانع للحداثة من صعوبات، لكثرة هذه التعاريف واختلاف مقاصدها؛ إذ أغلبها لا يعدو أن يكون وصفًا لجانب أو أكثر من جوانب هذا المفهوم،

يرى نايف العجلوني أنها: «حركة تفكيكية تستمد معناها وقوى دفعها من رفض أو نفي ما حدث قَبْلًا» -

وفي تعريف أكثر شمولية قال جيف فاونتاين إنها سلسلة من التحولات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا، والتي أصبحت أساسًا لفكرة الشك الديني وعدم الاعتقاد بصحة الكتب المقدسة.

ثانيا: الركائز التي تقوم عليها الحداثة

من خلال هذه التعاريف مجتمعة لخص بعض الباحثين تلخيص أهم الركائز التي تقوم عليها الحداثة في العناصر الآتية:

١ - الحركة الدائمة التي همها توليد الحركة.

٢- تقديس الجديد من حيث هو جديد لا لاعتبار آخر، ذلك أنه في فلسفة الحداثة تسقط كل معايير التفضيل، ويبقى الزمن وحده معيارا لذلك، فيكون الشيء أفضل من غيره لا لأمر ذاتي فيه، بل لمجرد كونه اللاحق زمنيا.

٣- الاهتمام بالحاضر والرفض التام للماضي.

٤- التمركز حول الذات. سيادة الإنسان عن طريق استخدام العقل، وتكريس لفكرة مركزية الإنسان. إذ اصبح الانسان يستمد يقينه من ذاته، وليس من عقيدة او سلطة، غير سلطة ذاته.

٥- تمجيد العقل والسعي نحو العقلنة.

٦- التمدن والتصنيع والتكنولوجيا

٧- الشك في صحة الكتب المقدسة وفي كل ما هو ديني.

٨- الانفتاح الكامل على الكون. وقد اصطبغت القراءات الحداثية للنص القرآني بأغلب هذه المواصفات وقامت على أهم هذه الركائز؛ لذلك فهي تحاول قطع الصلة بالتراث التفسيري، وتُغلب العقل على ما سواه من الأصول للنظر في القرآن الكريم، كما أنها تستبعد مفهوم القداسة في التعامل مع نصوص الوحي؛ لذلك يرى عبد المجيد الشرفي أن إحاطة القرآن بالقداسة يجعلنا لا نهتدي إلى دلالاته العميقة، قال: «مهما كان التوجه فإن معظم التفاسير حاولت أن توجد معنى للقرآن في إطار القداسة، فلم نوفق إلى بلوغ منطقه العام.

ثالثا:القراءة الحداثية للقرآن الكريم؛ المفهوم والسمات والأهداف

١-المفهوم

مفهوم القراءة الحداثية للنص القرآني: المقصود بالقراءة الحداثية تلك المدرسة التي تبنّى أصحابها فلسفات ومذاهب غربية حديثة، وحاولوا تطبيقها في تفسير القرآن الكريم ، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع الآيات القرآنية: محمد أركون، ومحمد شحرور، ونصر حامد.... وغيرهم مع العلم أنه لا ينبغي رفض كل تعامل مع القرآن في العصر الحديث لمجرد أنه حديث أو معاصر فليس المقصود رفض كلّ الاجتهادات الحديثة أو المعاصرة أو الجديدة في التعامل مع القرآن الكريم وتفسيره، وإنما المقصود تلك القراءات المرتبطة بفلسفة الحداثة التي تقوم على الآنية الزمنية، وعلى إسقاط الفلسفات الغربية على النصّ القرآني يعني أنه من الممكن منهجيا وجود اجتهادات تفسيرية حديثة أو معاصرة تتجاوز الاجتهادات القديمة، مع التزامها بالمنهج العلمي المسطّر في أصول التفسير وقواعده كالاتجاه الاجتماعي، الذي يمكّن المسلمين من تأسيس نظريات قرآنية في النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية قادرة على مواجهة التحدي الحضاري وتجاوزه بالكشف عن الإعجاز القرآني في العلوم

الإنسانية، وكذلك التفسير العلمي الذي أثبت أن الكتاب المسطور (القرآن العظيم) لا يتناقض أبدًا مع الكتاب المنظور الكون.

٢- سمات القراءة الحداثية للنص القرآني:

أ-سيادة العقل في العملية التأويلية: تعتمد القراءة الحداثية أساسًا على العقل في التعامل مع الآيات القرآنية، بل والرأي المجرد عن الدليل ، وهو الشيء الذي لا يتوافق مع أصول وقواعد تفسير القرآن؛ ولهذا فهم يستبعدون السنة تمامًا ولا يلتفتون إلى الآثار الواردة في التفسير.

ب الغموض والتضارب المنهجي: يجمع بين القراءة الحداثية قاسم مشترك هو الغموض؛ إذ يعتبر الغموض الفكري والمنهجي والمصطلحي ظاهرة بارزة في هذا الخطاب.

٣- من أهداف القراءة الحداثية للنص القرآني:

أ- إعادة قراءة النص القرآني: إنَّ هَمَّ الحداثيين اليوم هو إعادة قراءة القرآن فالقراءة الحداثية لا تجد أي غضاضة في استنساخ وإسقاط فلسفات غربية متنوعة على النص القرآني.

ب- القطيعة المعرفية بالتراث القرآني وتضخيم الآراء الشاذة من الحداثيين الذين سفهوا التراث التفسيري ودعوا إلى التعامل المباشر مع القرآن الكريم، جمال البنا وعبد المجيد الشرفي؛ إذ قال الأول: «المسلمون فهموا القرآن عبر التفاسير فَضَلُّوا ... لا بد أن نستبعد الالتزام بالتفاسير؛ إذ لا فائدة فيها، ونقرأ القرآن مباشرة.

المحاضرة الثالثة

عالمية القرآن الكريم

هناك فرق كبير بين مضمون العالمية ومفهومها الذي جاء به الإسلام، ومضمون العولمة ومفهومها التي تسعى أمريكا الى فرضها على العالم، ثمّ بيان تصورات العولمة ومظاهرها ورؤى وتصورات عالمية الإسلام التي تتعلق بالإنسان والكون والحياة، وإثبات وجود خلاف بين منطلقات العولمة ومنطلقات الإسلام، وبين مجموعة القيم المحركة لكل منها. وإظهار سمات عالمية الإسلام.

أدلة عالمية الإسلام أولا: من القرآن الكريم

١- النصوص الصريحة: قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقوله تعالى﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]

٢- دعوة غير العرب الى الإسلام فقد جاء في القرآن الكريم دعوة الكفار سواء كانوا من العرب أو غير العرب إلى دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى دينا سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد تجاوزت رسالة نبينا محمد ﷺ اليهود والنصارى إلى جميع الناس، كما لم تقتصر على عالم الإنس، بل شملت عالم الجن، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] ويقول تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]

٣- النداءات العامة في القرآن الكريم فالقرآن الكريم يوجه خطابه إلى الناس كافة، وهذا دليل على أن الإسلام لجميع البشر. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وقال تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]

٤- محاربة القرآن الكريم لدعاوى التفرقة بين الناس: إن الإسلام بمبادئه حارب النزعات الإقليمية والطائفية، فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العنصرية والطائفية، والمعيار الوحيد للتفاضل بين الناس هو التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

ثانياً: من السنة النبوية المطهرة

١ - قوله موجها الخطاب إلى قومه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ) متفق عليه

٢- إرساله(ﷺ) السفراء إلى جميع الزعماء والملوك، فبعث سفراءه يحملون كتبه إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، وعظيم القبط، وملك الحبشة. وبعث الرسل ومعهم الكتب منه إلى الملوك والأمراء دليل قاطع على عالمية رسالة الإسلام التي جاء بها.

المحاضرة الرابعة

مفهوم العولمة

أولا: العولمة لغة: العولمة ثلاثي مزيد، يقال عولمة على وزن فوعلة، مشتق من كلمة العالم، كما يقال : قولبة، اشتقاقا من كلمة قالب، إذاً كلمة "العولمة " نسبة إلى العالم - بفتح العين أي الكون، وليس إلى العلم بكسر العين، والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها وضع الشيء على مستوى العالم، وأصبحت الكلمة دارجة على السنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي (الجابري ١٩٩٨: ١٣٥، الدجاني، ١٩٩٨ :١٣، حجازي، ٢٠٠١ :٨٧)

ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله (الجابري ١٩٩٨: ١٣٦-١٢٧)

ثانيا: العولمة اصطلاحاً. إن كلمة العولمة جديدة، وهي مصطلح حديث لم يدخل بعد في القواميس السياسية والاقتصادية. ولقد ظهرت العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاً أو حالة ذات أبعاد

متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات والاتصال والسياسة والفكر والتربية والاجتماع والأيديولوجيا. (الجابري ١٩٩٨: ١٣٦-١٣٧

وقد أطلق على العولمة بعض الكتاب والمفكرين "النظام العالمي الجديد"

والنظام العالمي الجديد: هو في حقيقة أمره وطبيعة أهدافه، نظام صاغته قُوى الهيمنة والسيطرة الغربية لإحداث نمط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وإعلامي واحد وفرضه على المجتمعات الإنسانية كافة، وإلزام الحكومات بالتقيد به وتطبيقه. (التويجري: ٢٠٠٢).

ولقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة اصطلاحا، نذكر هنا بعضاً منها. ومن هذه التعريفات:

يعرف .د. محمد عابد الجابري العولمة بقوله هي: " العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته"(الجابري ١٩٩٨ (١٣٧) أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، فالعولمة هي اسم للاستعمار في أشكال جديدة، وهي نوع من السيطرة الأمريكية على العالم.

ويعرفها الدكتور صالح الرقب بقوله: "العولمة . هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي ".

المحاضرة الخامسة

العولمة في الميزان القرآني

ينظر القرآن الكريم إلى مستجدات الحياة وتطوراتها على أنها من الزينة في الدنيا والزخرفة في هذه الحياة، ومن ذلك العولمة ومظاهرها المادية، والقرآن الكريم يرجح كفة الدار الآخرة على الدنيا ، فعلى مستوى الأفراد التفاضل بينهم على أساس التقوى، قال سبحانه: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم)

، وعلى مستوى الأمم والحضارات فإنها مرهونة بزمن ووقت فقال ﷻ: (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

وبما أن العولمة من الحاضر والواقع المشاهد والمحسوس ومن ضمن إطار عالم الشهادة فالقرآن الكريم يوجهنا بأن نأخذ أحسن ما فيها وترك سيئها، وهذا المفهوم القرآني في قوله تبارك وتعالى : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ، وسنة التدافع القرآنية مع الآخرين في دفع عجلة الحياة الدنيا تكون ضمن محاور البر والتقوى لأن هذا التحديد في قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) لأن الخروج عن هذا الإطار والتعاون مع الآخرين في ميادين الإثم والعدوان يحدث خللاً في الميزان الشرعي الذي قوامه القرآن الكريم، وقد ذكر لنا الله سبحانه في كتابه العزيز نبأ أقوام ضيعوا دينهم جراء انسياقهم ببهرجة الدنيا في وقتهم فقال: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا). والواجب على المسلمين في زمن العولمة أن يجعلوا القرآن الكريم أساس حياتهم، حتى يكون هو المبدأ والأصل للمستجدات الاخرى.

إن تدير هذا القرآن ينجز لنا مَعْلَمين عظيمين لا غنى عنهما لمن أراد أن يبقى مسلماً، و أن يحقق الريادة في الحياة والحضارة في ظل العولمة، وهما:

المعلم الأول: ضبط القدر الذي تجتمع الأمة عليه، ولا يسعها التهاون فيه بحال من مسائل العلم والعمل، وهو الذي يحفظ لها كونها (أمة)، إذ لم تكن أميتها جغرافية بحتة، أو تاريخية، أو جنسية.

والمعلم الآخر: فتح منافذ الإبداع والابتكار والتفكير العلمي الموضوعي في الكون والإنسان والحياة الدنيا، التي هي محل حركة العقل في الاستكشاف والتسخير، والتي صرنا بإهمالها أمثولة للأمم، وكأننا نعيش عجزاً ذاتياً في الإدراك، وكأننا لم نكن يوماً من الدهر أساتذة الحضارة وقادتها.

الفرق بين عالمية القرآن والعولمة.

العولمة لا تعني العالمية التي ينص عليها القرآن الكريم؛ إذ الإسلام بتعاليمه التي جاءت في القرآن لم تنزل لاستصلاح العرب باعتبارهم عرباً، وإنما هم قوم كبقية ،الأقوام إذ القرآن ليس كتابا قوميا يدعو إلى تفضيل شعب معين؛. فهو لا يميز العرب بميزات

خاصة بهم، و لم يمنع القرآن التعددية الثقافية للشعوب الداخلة فيه والتي في أصلها موروث تجارب البيئة التي عاشوها، ولا تناقض مبدأ التوحيد.

فالعادات والتقاليد الأصل فيها الحل والإباحة ما لم يرد مقابلها نص أو تحريم شيء منها، فاللباس وطريقة الأكل، وغيرها جزء من موروثات الشعوب، تحمل قيما اجتماعية من حقها الاعتزاز بها.

فلم يطلب الإسلام من سلمان الفارسي وصهيب الرومي، وبلال الحبشي الانسلاخ من ثقافتهم وبيئاتهم وطرائق معيشتهم والذوبان في الأنموذج العربي ، بخلاف العولمة التي تفرض لونا معينا من الثقافة، وتطلب من الآخرين الذوبان فيها على مستوى طريقة حلق الشعر وشكل اللباس وآداب الطعام وغيرها.

ولذلك تتهاوى العولمة أمام عالمية الإسلام في الموازنة؛ لأن الدعوة الاسلامية شمولية بلا حدود، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ، وقال:(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)

ومن العالمية التعارف بين الناس في كل شيء، ومن التعارف التواصل بينهم في المعارف والعلوم وغيرهما قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقد تقدم ذكر هذه الآيات وغيرها في المحاضرة الثالثة عند الحديث عن عالمية القران .

المحاضرة السادسة

علاقة الدراسات القرآنية بالعولمة

العولمة ليست اقتصاداً فحسب، وإنما هي منظومة تتعلق بالسياسة والاقتصاد والحضارة والثقافة والاتصالات والمعلومات وهناك تعريفات كثيرة عنها وحولها، وهي تسعى إلى اختصار العلم والعالم، وتقريب المسافات في القرية الكونية، وكل جزئية من جزئيات العولمة، وكل مسألة من مسائلها قد تناولها القرآن الكريم من باب التفصيل في كل شيء، على ما يأتي:

أولاً: الجانب الإقتصادي

للنظام الاقتصادي وجه بارز في المنهجية القرآنية، فهو يكفل الملكية الفردية في إطار من الرقابة الشرعية والاجتماعية، ويشجع الناس على العمل والإنتاج ، وبذلك يحافظ

على دور المال المهم ويعده حقاً من حقوق الفرد ويفرض الرقابة عليه لكلا يصبح أداة فساد، ولذلك فإن السفهاء يحرمون من حق التصرف في أموالهم، لأنها أموال المجتمع قبل أن تكون أموال السفهاء، ولأن المال وضع ليؤدي دور المنظم لأنشطة المجتمع، فإذا استغله صاحبه في الفوضى والفساد فإنه يفقد دوره ويصيب الضرر جميع المجتمع.

من هنا فالقرآن يوسع دائرة لفظة: (السفيه) لتشمل الغني أو الحاكم الذي يصرف أموال المجتمع على متعه الخاصة، بينما كان عليه أن يصرفها في بناء المشاريع العمرانية و الإنسانية و ينصرف لفظ السفيه إلى من يشجع الفاحشة، ويبني دور اللهو، وينشر المخدرات، وكذلك المفسد الذي يحتكر التجارة لذاته ويعمل بطريقة أنانية تضر بمصلحة المجتمع.

قال تعالى: ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ وأراد ها هنا قوام عيشكم الذي تعشيون به ، واستخدامه من أجل البناء والتطوير.

وأيضاً يعد القرآن الكريم الربا من المحرمات المنهي عنها، لما فيه من استغلال الضعفاء، وإنهاك اقتصاد المجتمع، وجعل رأس المال ينحصر في أيدي أناس معينين، والربا يضعف المنافسة الحرة الشريفة، ولهذا أحل الله تعالى البيع لأنه ينتفع منه الجميع قال تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الربا) أما الربا فإنه يجعل المال محصورا في حدود الفوائد ويكون المرابي شريكا في جهود الناس دون أن يتحمل معهم خسارة أو يبذل جهدا، ولهذا فإن الربا يعد من مقومات نظام العولمة ويستخدمونه ايضا للإضرار باقتصاد البلدان الفقيرة، مما يؤثر في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وهو ما نعاني منه في الوقت الحاضر ، فدول العولمة تستأثر بكل خيرات المعمورة، وهناك مجتمعات فقيرة تحتاج إلى أبسط مقومات الحياة، وزيادة على ذلك فإنهم يثقلون الدول الفقيرة بالديون والفوائد المترتبة عليها، مما يحول دون تقدمها واستقلالها.

ويوجه المنهج القرآني أتباعه إلى التزود بالتقوى كوازع داخلي يحفظ الحقوق ويحافظ على حرمات المجتمع وأبرزها حرمة المال، فالقرآن ينهى عن أكل أموال الناس بالباطل (يا أيها الذين آمنوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) سواء بالغصب أو بالغش، أو غيرها من الطرق غير المشروعة.

ولهذا يأمر القرآن الكريم بدفع الزكاة من أجل النفع العام ودفع عجلة التقدم، ويحث على الصدقات ومساعدة المحرومين، وتوفير رأس المال لهم، لأنه سوف يؤدي الى تداول

الثروة، وتحريك الاقتصاد، وإنهاء البطالة . فالمساعدات المالية في مواجهة الربا: (يمحق الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ).

والقرآن الكريم يحرب البخل ويعده من الأمراض التي تصيب أصحاب الثروة، فالعلاج لا يكون إلا بالإحسان والإنفاق، فعدم الإنفاق يورث الكراهية والحقد بين أبناء المجتمع: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ). ويجعل القرآن العطاء مظهرا من مظاهر الإيمان بالله، وسببا للثواب الجزيل (ومَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥).

و يشجع القرآن على التداين والإقراض، فآية الدين هي أطول آيات القرآن الكريم ، وقد نظم أحكام الدين من أجل حفظ حقوق الدائنين والمدينين.

ثانياً: المجال السياسي

تحدث القرآن الكريم عن السياسة والحكومة في موارد كثيرة من آياته، تحت عنوان الإمامة والخلافة والولاية والحكم فجعلها أمانة بيد الحاكم، لتحقيق العدل والخير في هذا الوجود، وفيما يأتي مجموعة من الآيات الكريمة التي تعطينا صورة واضحة لمفهوم السياسة في القرآن الكريم.

قال تعالى مخاطباً النبي داود عليه السلام(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلُّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وقال (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

وكما بين القرآن الكريم الأسس الفكرية للحكم والسياسة، بين كذلك مبدأ الشورى والتشاور كأساس من أسس النظام السياسي في الإسلام، فقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم ﷺ:(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)، وقال تعالى واصفاً المؤمنين في حياتهم السياسية والاجتماعية (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون).

وفي موضع آخر تحدث عن البيعة والطاعة لولاة الأمور الذين يقيمون الإسلام وينفذون سياسة الحق والعدل، واعتبرها واجبة القرآن المبادئ الأساسية للسياسة، ويوضح مرتكزاتها في العديد من آياته اخترنا منها ما أوردنا أنفاً للإيضاح والتعريف.

ثالثاً: المجال الثقافي

يطرح القرآن المرتكزات الثقافية للأمم كوحدة مرتبطة بالأديان، باعتبار أن أية أمة تستمد قوتها وشخصيتها المتميزة من ثقافتها، ولا ينبغي أن تتناقض هذه الثقافة مع دينها، والنهي القرآني الذي ورد بخصوص عدم التأثر بالأفكار الغربية والدخيلة ، لأن تلك الأفكار الثقافية المنحرفة كانت السبب في هلاك أصحابها ، أما الأفكار المبنية على التجارب والجهود الذاتية للشعوب، والتي تقود نحو التقدم المادي و لا تتعارض مع قيم الدين، فإن القرآن لا يرفضها.

ويرفض القرآن الكريم الفكر العنصري عند أصحاب الديانات السابقة باعتبار أن أفول نجم أية أمة يكمن في عوامل عدة منها العنصرية وتقديس الكيان المادي؛ ولهذا يضرب القرآن مثلا من عنصرية اليهود التي لا يريدها أن تكون في المسلمين: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ، من هنا يدين القرآن الفكر العنصري ويبين أن هذا النوع من التفكير لا يعتمد على قيم؛ بل على الأهواء .

المحاضرة السابعة

الدراسات القرآنية المتأثرة بالعولمة والموقف منها

إن الدراسات القرآنية المتأثرة بالعولمة هي امتداد لدراسات المستشرقين الذين توجهوا نحو القرآن ببحوثهم ودراساتهم في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ولا يخفى ما في هذا المنهج من تحامل على النصوص الدينية كلها، وفي مقدمتها القرآن الكريم، إذا عصر ما يسمى بـ"النهضة" هو الذي فرض هذه المناهج لبيئة شهدت انفصالاً بين العلم والدين.

ومع ذلك فهناك قراءات معتدلة في النص القرآني بالرغم من حداثتها ومعاصرتها، وهناك دراسات لم تقطع الصلة بمنهج التراث التفسيري القديم، كما أنها مشت خطوات مع التيار الجديد والفكرالحديث، ونخص بالذكر دراسات للتمثيل وليس للحصر الأولى في المنهج التاريخي، والأخرى في المنهج التحليلي، وهما:

١ - أمين الخولي :

أرسى الخولي منهجاً أسماه: "التفسير البياني للقرآن"، وطرح فيه موضوع مكانة النص المفسر، وحدد ثلاث خصائص تجديدية في منهجه:

الأولى: الخاصية الموضوعية، أي: الجمع الإحصائي للموضوع في مفرداته وسياقه وعلاقاته بالمعنى.

والثانية: الخاصية المعرفية التي تهتم بما حول النص من معارف والمقصود بها علوم القرآن.

والثالثة: الخاصية التاريخية اللغوية، ويعني بها الاهتمام بالبيئة التي نزل فيها القرآن، ومجاراة للمناهج الحديثة فقد أفاد من علمي النفس والاجتماع وغيرهما.

٢ - عائشة عبد الرحمن:

بنت الشاطئ تعاملت مع النص القرآني بوصفه نصاً لغوياً متكاملاً يفسر بعضه

بعضاً، وتابعت الخولي في موضوع تاريخية الألفاظ القرآنية ومناسبة التراكيب لها. ومن الجدير بالإشارة إليه أننا بنا حاجة إلى دراسات قرآنية معاصرة بشرط أن لا تخرج عن سمة الاعتدال الفكري والمنهجي، هذا إذا علمنا بأن القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء.

وفيما يأتي بيان للضوابط العامة والخاصة في الدراسات القرآنية المعاصرة على النحو الآتي:

أولاً: الضوابط العامة

لعلنا نسجل هنا بعض النقاط الرئيسة في بيان حاجتنا العلمية لدراسات قرآنية معاصرة - منضبطة- على ما يأتي:

١- إن القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولذلك فالدراسات والبحوث

يجب أن تصاحب القرآن في كل عصر.

٢- توسع العلوم والمعارف في الوسائل والإمكانيات بما لا يستغنى عنها في الدرس القرآني المعاصر.

٣- تصريح العلماء السابقين بضرورة متابعة العلوم اللسانية واللغوية في تفسير كتاب الله تعالى، من ذلك ما ذكره الإمام البيضاوي في تفسيره حين قال: "وبعد، فإن ...علم التفسير ... لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية ... ".

٤ - ملاحظة طبيعة القرآن وهي كونه حاملا لرسالة إلهية، وخطابا ، وهذا معنى وصف القرآن بأنه كتاب هداية يجب تبليغه والعمل به.

٥- ملاحظة أن القرآن الكريم إنما هو نص صيغ بلغة عربية لها قوانينها ومعانيها وأساليبها، ولا يستقيم فهم القرآن من غير مراعاة ذلك.

ثانياً: الضوابط الخاصة للقراءة التاريخية

١- نقض المفهوم السائد في الدراسات التاريخية، بأن غياب القراءة التاريخية للنص الديني عموماً والقرآني على وجه الخصوص أدى به إلى الجمود، فالنص الديني حيوي، وهذه الدراسات حولها بغثها وسمينها دليل على حيوته أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان.

٢- مراعاة الاهتمام بالثقافة النقلية التي يلزم بها المسلمون، وعلوم الإسناد التي هي

من الدين، والرجوع إلى فهم السلف للنصوص الشرعية.

٣- إن كتاب الله عز وجل لم تنزل مواضيعه بشكل مرتب ومتسلسل مما اقتضى ضرورة أن أية دراسة للقرآن الكريم لا يمكن أن تتم إلا بعد الرجوع إلى الترتيب النزولي والاهتمام بأسباب النزول، ولا بد من عملية جمع الآيات ذات الموضوع الواحد لتشكل مع بعضها منظومة واحدة وترتب حسب منهج علمي لدراستها.

ثالثاً: الضوابط الخاصة للقراءة التحليلية

١ - إن النص القرآني نزل باللغة العربية وهذا يقتضي أن نتعامل معه حسب بنية اللغة العربية ، مع مراعاة تاريخية الدلالات ، وقابلية التطور لاستيعاب مستجدات الحياة..

٢- إن اللغة أداة مطواعة فالقيادة للفكر، واللغة تابعة منقادة له والنظر إلى أن أي تغيير في بنية الجملة من زيادة أو نقصان أوتقديم أو تأخير يؤثر بالمعنى المفهوم.

رابعاً: الضوابط الخاصة للقراءة الإلكترونية

دخلت الدراسات القرآنية إلى ما يسمى بالقراءة الإلكترونية عن طريق وسائل العولمة الحديثة مثل الفضائيات والوسائط المتعددة وهذا ما يتطلب اختيار الشركات ذات الثقة التجارية في إدخال البيانات القرآنية ومعلوماتها سواء النص القرآني أو دراساته حتى يؤمن الجانب العلمي والمعرفي في تلك الإصدارات المقروءة أو المرئية أو المسموعة.

المحاضرة الثامنة

التحليل الألسني للقرآن الكريم

من المصطلحات التي طالما ردَّدَها رواد القراءات المعاصرة للنص الديني: «التحليل الأَلْسُنِي».

واللسانيات أو الألسنيات: فرع من علوم اللغة الحديثة أسسه السويسري «دي سوسير»، ويقوم على اعتبار اللغة مجموعة علامات ارتضاها المجتمع حتى يتيح للأفراد التخاطب.

وممن قام بتطبيق «التحليل الأَلْسُنِي» على القرآن الكريم: الدكتور محمد أركون في كتابه: «القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني»، حيث تكلم عن سورتي الفاتحة والكهف، وقام بتحليلهما تحليلاً أَلْسُنِياً، وفي عدد من كتبه الأخرى إشارات إلى هذا الأمر..

ومثل هذا التناول للمناهج المعاصرة في التعامل مع القرآن والسنة فيه إشكالية منهجية، وهي: محاكمة العلوم الشرعة إلى مناهج نشأت في بيئة مغايرة، ولحل إشكالات مغايرة، بينما النصوص الشرعية لها مناهجها في الفهم والاستدلال، والتي أثراها العلماء منذ القِدَم تأصيلاً وتطبيقاً.

وقد أفرد أركون جزءاً من كتابه لدراسة سورة الفاتحة دراسةً «من دون أسبقيات لاهوتية»، وتعني الانطلاق من عدم اعتقاد القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ، وهذا يعني اعتباره نصاً لا يختلف عن النصوص البشرية في شيء! وهذا المدخل يكفي في التدليل على مقدار الأخطاء التي يمكن أن تقع في النتائج.

وفي هذا المقال عَرْضٌ لأهم مراحل الدراسة الألسنية التي قدَّمها أركون لسورة الفاتحة، والتي يمكن إرجاعها لثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: «التعريف بالمقروء»:

يقول: «الشيء المثالي الذي نحلم به والممتنع عن التحقيق هو أن نستطيع وصف الوضعية العامة للخطاب بشكل شمولي كامل، أقصد: وصف الظروف التي لُفظت فيها سورة الفاتحة بشكل شفهي لأول مرة».

والقوانين الثلاثة لقراءة سورة الفاتحة عند الدكتور محمد أركون:

يرى أركون أن هناك ثلاثة قوانين لقراءة سورة الفاتحة، وهي:

١- بروتوكول القراءة الشعائرية: وهذه القراءة الشعائرية - كما يسميها أركون - هي في حقيقة الأمر: التعبد لله تعالى بسورة الفاتحة، تلاوةً لها في الصلوات وغيرها.

٢- البروتوكول التفسيري: وما يسميه أركون القراءة التفسيرية، هو في حقيقته: تفسير أهل العلم للقرآن الكريم بدايةً من التفسير النبوي ومروراً بتفاسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم.

٣- البروتوكول الألسني النقدي: وفيه يقول أركون: «أما البروتوكول الثالث والأخير للقراءة فهو ذلك الذي سنحاول اتباعه، ، وسوف تكون قراءتنا ألسنية أو لغوية أولاً لأنها تهدف، بقدر الإمكان، إلى تبيان القيم اللغوية المحضة للنص، ولكنها ستكون نقديةً أيضاً بمعنى أن كل ما سنقوله لن تكون له إلا قيمة استكشافية أو افتراضية في نظرنا».

وهذا النوع من القراءة الذي اعتمده أركون، لا يُحَقِّق بشكل صحيح ومتكامل حتى معرفة الناحية اللغوية للنصِّ القرآني.

كما أن اعتبار أركون أن قراءته هذه ستكون نقدية وتفسيره للنقدية بأنها التي لها قيمة استكشافية وافتراضية هو خلل في مفهوم النقد، كما أنه حتى على المعنى الذي أراده أركون: انتقالٌ من طرق التفسير الصحيحة للنصوص والتي تُثْمِر معارف سليمة إلى طريقة غاية ما فيها التجريب والاستكشاف.

المرحلة الثانية: «التحليل الألسني للسورة»:

وهذه المرحلة هي صميم عمل أركون في تحليله الألسني الذي يقدمه على أنه الطريق الأمثل للتعامل مع النص الديني عامة ومنه القرآن، ولم يُقَدِّم فيه سوى التوصيف العام دون نتائج علمية.

يبدأ أركون تحليله الألسني لسورة الفاتحة بالكلام عن المعارف في السورة الكريمة، وأركون يرى أن فائدة المعارف العامة: أنَّ جميع ما يتحدث عنه المتكلم معروف!

يقول: «نلاحظ أولاً أن جميعَ الأسماء (من مصادر، أو أسماء الفاعل والمفعول به أو الصفات الاسمية) محدَّدةٌ إما بواسطة أل التعريف، وإما بواسطة تكملة تعريفية، هذا يعني: أنَّ كل ما يتحدث عنه المتكلم معروفٌ تماماً أو قابلٌ لأن يُعرَف».

وهذه الفائدة تحصيل حاصل، ولا تستحق أن تُذكر على أنها فائدة المعارف، بل المعارف لها فوائدُ وأغراضٌ كثيرةٌ، تتعدد بتعدد أنواعها.

ثم يتحدث عن نماذج من المعارف الواردة في السورة الكريمة بطريقة لا تختلف كثيراً عن بيان فائدتها، فمثلاً: لفظ الجلالة «الله»: يقول أركون: «إن تعريف (إله) عن طريق أداة التعريف قد يحيلنا إلى مفهوم غير متبلور كثيراً في النصوص السابقة للفاتحة (أي السور القرآنية من رقم (١) إلى رقم (٤٥)، بالمقابل، فإن هذا التعريف يميل إلى أن يحلَّ تسمية وحيدة وكونية محلَّ استخدام مشترك ذي مضمون متغير، ولأجل تثبيت المضمون الجديد للتحديد، فقد شُرِحَت (أل التعريف) بشكل ما مباشرةً من قبل استخدام أسماء البدل مثل: **{**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْـحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢**}** **[**الفاتحة: ١، ٢**]**».

والقول بأن مفهوم كلمة «الله» كان غير متبلور في النصوص السابقة للفاتحة غير صحيح، بل كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، وورود لفظ «الله» في الشعر الجاهلي أكثر من أن يحصر، ولهذا عندما ورد في القرآن الكريم لفظ «الله» كان معناه واضحاً عند السامعين يعرفونه من لغتهم.

كما أنه لم تكن تسمية الإله سبحانه باسم «الله» هي التسمية الوحيدة، بل أسماء الله الحسنى في القرآن كثيرة، ولذا فالقول بأن تعريف «إله» بأل التعريف كان لهذا الغرض غير صحيح، يبطله واقع الأمر.

وهذا التحليل الألسني للفظ الجلالة «الله» أورد فيه أركون ما يجعل تعريف لفظ الجلالة هو زيادةٌ في إبهامه، إذ هو كما يرى يحيلنا إلى مفهوم غير متبلور، وبالتالي: فإن هذا التحليل يُبعد الشخص عن الفهم للقرآن أكثر مما يُقرّبه إليه.

وقد تكلم أركون عن الضمائر والأسماء والأفعال بمثل كلامه عن المعارف الواردة في السورة، مما زاد في الإبهام.

المرحلة الثالثة: «النسق التأويلي للسورة»:

أورد أركون خمسة قوانين (أو أنساق) أشار إلى وجودها في تفسير الرازي، وهي:

النسق اللغوي (أو الشفرة اللغوية).

النسق الديني (أو الشفرة الدينية).

النسق الرمزي (أو الشفرة الرمزية).

النسق الثقافي (أو الشفرة الثقافية).

النسق التأويلي أو الباطني.

ويرى أركون أن النسق التأويلي هو أهمها، يقول: «النسق التأويلي أو الباطني: وهو الأهم، وذلك لأنه من وجهة نظر المفسِّر، فإن جميع الأنساق السابقة تسير باتجاهه وتتلاقى حوله لكي تتوصل إلى المعنى الأخير للنصِّ القرآني»

وهذه الأنساق التي أوردها أركون فيها ما يصح أن يورد في التعامل مع التفسير، أمثال النسق الثقافي واللغوي في التفاسير، وفيها ما لا يصحُّ اعتباره نَسَقاً وقانوناً تفسيرياً، أمثال: النسق الرمزي، والذي هو الخيال والأسطورة، ذلك أنه حتى في التفاسير التي تُعنى بإيراد الروايات الإسرائيلية لا تُوردها على أنها خيالات وأساطير، بل على أنها مما يجوز التحديث به وإن كان لا يصدق ولا يُكذَّب.

وهكذا تتحول كبرى المقاصد القرآنية التي قررتها سورة الفاتحة في التحليل الألسني إلى رموز لا انعكاس لها في واقع الناس، ولا تُسهِم في بناء وعيهم.

ويتم من خلال مراحل معينة تفريغ النص القرآني من مضمونه ليتحول لنص أدبي يخضع لدراسة لغوية بحتة، وفق مناهج حديثة، تُهدَر من خلالها جهود علماء الأمة في قرون في المجالات التأصيلية والتطبيقية.

المحاضرة التاسعة

النص القرآني في ضوء القراءة التأويلية الحداثية

لفظة " هرمينوطيقا " في الدراسات اللاهوتية تعنى بالكشف عن وسائل وآليات الفهم التي تمكِّن من فهم النص. وتعود دلالة (الهرمينوطيقا) في أصلها اللغوي (الإغريقي) إلى الفعل ترجم، وفسّر، وأبان ،إلا أنها لم تستقر كمصطلح إلا حديثا. وحاصلها أنها ترى أن الحقيقة التي يتضمنها النص غير ثابتة، وإنما تتغير تبعا لتغير فهم المتلقي. والنص هنا، لا يعكس رؤية كاتبه، وإنما هو ملك لقارئه ، يفعل به ما يشاء. وبهذا يكون المعنى الذي يريده مؤلف النص قد افتقد عنصر الثبات، وخضع الفهم للتحول والتغير تبعا لما يريده قارئ النص وليس كاتبه.

. وبهذا لا تخلو أية قراءة حداثية للقرآن الكريم من إساءة قراءة، باعتبار أن دلالة النص القرآني ليست ثابتة، وأن كل قراءة هي في ظرفها الخاص صحيحة، ولا توجد قراءة خاطئة على الدوام، وبهذا يكون النص القرآني مفتوحا على جميع الدلالات والاحتمالات

وقد رفعت البنيوية شعار "موت المؤلف" بصفته مؤسسا للنص، وأنزلته إلى مجرّد ناسخ للغة، وقطعت بذلك كل الصلات الحيوية بين المؤلف والنص، ممهّدة بذلك لإعلان ولادة القارئ. فالمؤلف مجرد مستخدم للغة، واللغة هي التي تتكلم وتبدع المعنى بالاعتماد على أفق القارئ الثقافي وظرفه الراهن. والمعضلة هنا تكمن في أننا لسنا مخولين بالحديث عن المعنى بوصفه عنصرا قرآنيا ثابتا ، وإنما نتحدث عن حقيقة النص المتمثلة حصرا بفهم القارئ وقراءته له، فنتحدث عن انتاج القارئ وابداعه لمعان جديدة لم تكن منظورة من قبل، بما يتناسب وروح العصر أما شكل النص فيغدو بمثابة الجسد الذي لاحياة له بدون الروح.

بعد "موت المؤلف" على يد البنيوية، أعلنت التفكيكية لاحقا "موت النص". وبذلك أصبح القـارئ بمفرده في الميدان، فهو الذي يسهم في إنتاج النص، ويضفي عليه المعاني والدلالات. ومهمة القارئ هي في أن يجري على النص عمليات حفر وتنقيب لا تعترف بحد نهائي يستقر عليه الفهم، وهذا ما يضفي المشروعية للتأويل باعتباره يعمل في مجال مفتوح. وحينئذ لن يكون هناك أي نص بمنأى عن التأويل، بما في ذلك النص القرآني نفسه والذي يحتوي على مخزون دلالي كبير إلى جانب كونه نصا

متشابها حمال أوجه والمعنى لا يستقر على مدلول ثابت. وما دام النص القرآني حافل بالدلالات المضمرة التي لا تقف عند حد، لذلك يجب اطلاق عنان التأويل لاستفراغ المعاني الكامنة في النص وإيصاله إلى مرحلة النص الذي لا يعني شيئا محددا، وفي نفس الوقت يمتلك قابلية أن يعني أي شيء.

فلا يوجد نص إلا والى جانبه شيء مسكوت عنه، وهذا الفراغ يمنح القارئ الحرية في تقويل النص ما لم يقله. وهذا يعني أن القارئ مدعو إلى التحرر مما يقوله النص - بما في ذلك النص القرآني - فالفهم رهن بالتحرر من سلطة النص، والافصاح عما لم يقله المؤلف مما هو مسكوت عنه فيه، ولهذا يحتاج النص إلى عين ناقدة ترى فيه ما لم يره المؤلف، بل وتجد فيه عكس ما صرح به.

تنشأ الدلالة المعجمية بحسب السائد من تقييد اللغة بالمعنى، في حين يخالف المنهج الهرمينوطيقي هذا التوجه، ويذهب إلى أن الدلالة انما تنشأ من تحرير اللغة من المعنى وافراغها منه ، ومن خلال هذا يتم إيصال الدلالة إلى مرحلة لانهائية المعنى، وبعبارة مرادفة إلى اللامعنى.

المحاضرة العاشرة

أثر المستشرقين في الدراسات القرآنية

.

مفهوم الاستشراق:

الاستشراق (Orientalism) باللغة الإنكليزية مشتق من الشرق عكس الغرب، وهو يعني طلب علوم الشرق.

ومن هنا تدلُّ كلمة الاستشراق على الاهتمام بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف وثقافات وميزات وسمات حضارية متنوعة.

والاستشراق أيضًا يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق.

والمستشرق هو الإنسان الذي وهب نفسه للبحث والاهتمام بما يتعلق بالشرق، وما يدور فيه من علوم ومعارف، وقيم وحضارات، وفى مجالات مختلفة.

إسهامات المستشرقين العلمية:

بحث المستشرقون في التاريخ العربي والإسلامي، وعلم الكلام، والشريعة، والفلسفة، والتصوف، وتاريخ اللغة العربية وآدابها، والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، والنحو العربي، وفقه اللغة العربية.

وبينما يوجد لبعضهم مؤلفات ذات فائدة علمية للباحثين الغربيين والمسلمين على السواء، كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، يوجد لبعضهم مؤلفاتٌ تمتلئ بالطعن في الإسلام وتمتلئ بالأكاذيب والافتراءات التي ليس لها في سوق العلم والمعرفة رواجٌ ولا نصيب.

ويوجد بعض المستشرقين المنصفين للحضارة الإسلامية مثل (رينو) الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي، و(دوزي) الذي كتب عن قرون الأنوار العربية في إسبانيا،وغيرهم وقد كانت بحوثهم من أجل خدمة مجتمعهم الغربي في المقام الأول..

وتحاول طائفة من المستشرقين جعل الحضارة الإسلامية العربية قاصرةً على مجرد تبليغ ما أنتجه اليونان والرومان، و تحاول سلب الإسلام من كل قيمة حضارية، بل تنسب له حالة التخلف الراهنة في العالم الإسلامي.

ولا شك أن بعض المثقفين ساروا على أثر أساتذتهم الغربيين في الانتقاص من سوابق الفكر الإسلامي.

نماذج للانحراف الفكري تأثرًا بالفكر الاستشراقي.:

وسنعرض هنا لبعض الكتب التي تشكّل تجليًا واضحًا لمدى التأثُّر بفكر وإنتاج المستشرقين، والتي تركت أثرها في الساحة الفكرية والثقافية لدى المسلمين.

منها (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية) لخليل عبد الكريم الناصر: للكاتب كتب متعددة غير هذا أثارت زوبعة في الحياة الثقافية في مصر بسبب جرأته على الثوابت في الشريعة الإسلامية، يقول في كتابه هذا: «إن هذه الشريعة التي ينادون بها هي مجرد تعاليم كان يقول ويأخذ بها عرب الجاهلية، ثم جاء محمد، فأخذ هذه التعاليم، وأعمل

فيها عقله وفكره حتى بدت وكأنها شيء جديد». وقال: «هل تصلح هذه التعاليم التي كان يطبقها بدو الصحراء قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا لكي تحكمنا اليوم؟»، ويذهب أبعدَ من ذلك حين يشكّك في صحة القرآن الكريم..

وكتاب«الفكر الإسلامي: قراءة علمية» لمحمد أركون: ينطلق أركون من ملاحظة يعتبرها منهجية بخصوص التعامل السائد مع النص القرآني، فهو يرى أن المسلمين يستهلكون القرآن في حياتهم اليوميّة (يعملون بتعاليمه)، ولا يخضعونه للدراسة والتفحص العلمي الحديث، وأنه لا بد من اعتبار النص القرآني غنيًا ومنفتحًا على عدة احتمالات، أي إنه معروض للفكر الإنساني أن يتأمله ويفكر فيه دون انقطاع، وهذا يعني نزع القداسة عن القرآن ومعاملته كمنتج بشريٍّ خاضعٍ لجميع أشكال النقد.

وقد ذهب الدكتور طه حسين في مرحلة معينة من حياته إلى اعتبار القرآن الكريم " كتابا ككل الكتب الخاضــعة للنقد ، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها ." ثم يستطرد قائلا لطلاب كلية الآداب : " و العلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائيا عن قداسته التي تتصورونها وأن تعتبروه كتابا عاديا ، فقولوا فيه كلمتكم ..." وفي ذلك احتذاء واضح بدعاوى المستشرقين ، أصحاب الفكرة أساسا ، و التي غطوها بغطاء مناهج النقد و غيره..

ومنها: الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» لمحمد ديب شحرور: ويُعدّ هذا الكتاب نموذجًا صارخًا لعلمنة النص القرآني وسبك ما نادى به المستشرقون في قالب قرآني، ومن أبرز ما ورد فيه:

دعواه بوجوب إخضاع القرآن للتأويل، يقول محمد شحرور: «لا بدَّ أن يكون القرآن قابلًا للتأويل، وتأويلُه يجب أن يكون متحركًا وفق الأرضية العلمية لأمة ما في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته، وفي هذا يكمن إعجاز القرآن للناس جميعًا

نلحظ في كلامه هذا الدعوة الصريحة إلى التأويل المتحرّك لمعاني القرآن دون الوقوف عند ثبات صيغته ودلالاته وهذه الدعوة تؤدي إلى إفراغ النص من مضمونه ليصبح منطلقًا للأهواء والأعراف والتقاليد، وهذا حقيقةً ما توصَّل إليه محمد شحرور حيث أثبت معاني جديدة متناقضة بشكل كلي مع ما تقتضيه صيغة النص ودلالته]..

والحمد لله رب العالمين